الفاظ القرابة في القرآن الكريم

دراسة دلالية

د. رافع عبد الله العبيدي*

مما لاشك فيه ان القرآن الكريم هو كتاب العربية الاكبر، فهو المعين الثر الذي لاتنضب عجائبه ، فقد امدَّ العربية ،ومازال يمدها بعطائه اللغوي الكبير ، ولفت انظار العلماء والدارسين ومنذ القدم ، لما يتمتع به من بيان سامق ، ونظم فريد ، واسلوب عال ، لايدانيه اسلوب،ولايضاهيه بيان كيف لا وهو كلام رب العالمين الذي لايأتيه الباطل ، ومعجزة رسوله الذي تحدى به فرسان العربية واساطينها ، فعجزوا ان يأتوا بسورة من مثله .

واحد اوجه اعجازه اللغوي هو انتقاؤه للالفاظ انتقاءً محكماً بحيث يأتي اللفظ منسقاً في سياقه ،متعانقاً مع ما يجاور من الفاظ.

فهو يعمد الى انتخاب اللفظ دون نظيره ، وذلك ليؤدي معنى لايؤديه الثاني ،ولايمكن ان يحل محله في هذا السياق .

وهذا البحث محاولة متواضعة للكشف عن جانب من جوانب هذا الانتخاب ،وفيما يتعلق بالفاظ القرابة بخاصة ، فقد ورد لفظ الوالد في مواضع ، وورد لفظ الاب في مواضع اخرى ، كما استخدم لفظ الابوين في مواضع ولفظ الوالدين في مواضع اخرى ، وهكذا في الالفاظ الاخرى.

وعلى الرغم من تقارب هذه الالفاظ في دلالتها ، بيد ان لكل منها اداءه المعنوي وايحاءه الذي يؤديه في سياقه فلايؤديه الاخر فجاءت الالفاظ

---

* قسم اللغة العربية /كلية الاداب/جامعة الموصل .

مكتملة في مادتها ، مشتملة على ضروب الحسن ، حافلة بما ضم اليها من الكلم ، فتأتى من ذلك نظام فيه احكام وانسجام .

وقام البحث على خمسة محاور ، تناول الاول الفاظ الابوة،والثاني الفاظ الامومة ، والثالث الفاظ البنوة ، والرابع الفاظ الزوجية ، والخامس تناول الفاظ قرابة اخرى ، حاولت ان اعرض في هذه المحاور هذه الالفاظ مبيناً الفروق الدلالية بين لفظ ونظيره مستعيناً بقرينه السابق في الكشف عن هذه الفروق .

وختاما ارجو من الله العلي القدير ان يتقبل منّا ، ويجعل عملنا هذا خالصاً لوجهه الكريم ويلهمنا السداد في القول والعمل .

ويوفقنا لما فيه الخير والصواب .

الابـوة :

الاب : اصله (ابو) بالتحريك لان جمعه (آباء) مثل : قفا واقفاء،والاب :الوالد ويطلق الابوان على الاب والام على التغليب [1] ،ومن ذلك قوله تعالى :" ولابويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد ..." ،النساء:١١)[2] . وقد يطلق لفظ الاب ، ويراد به الجد ، وبهذا المعنى ورد في مواضع في القران الكريم ،من ذلك قوله تعالى :" كما اتمها ابويك من قبل ابراهيم واسحاق "(يوسف:٦) .

وقد يطلق لفظ الاب ويراد به "العم" [3] قال تعالى :" ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت ، اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله ابائك ابراهيم واسماعيل واسحق " (البقرة:١٣٣) . واسماعيل عم يعقوب وجعله اباً .

وقد ورد لفظ(الاب) في القران الكريم في اكثرمن مئة موضع بصيغة الافراد ، او التثنية ، او الجمع، وجاء في سياقات متعددة منها في الاخبالر عن اباء الانبياء ، وعلاقة ابنائهم بهم من حلال عرض القران لقصصهم فقد تحدث عن يوسف (عليه السلام) وابيه اسماعيل وابيه ابراهيم (عليه السلام) .

كما ورد لفظ الاب في القران ليدل على عموم الاباء والاجداد والسلف ، وذلك في سياق نعي القران على الابناء في اتباع ابائهم واجدادهم من دون تبصر فيتبعونهم وان كانوا كفارا وضالين قال تعالى :" قالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا" (البقرة:١٧٠) .

كما ورد لفظ الاب في خطاب الانبياء لابائهم ، فجاء اللفظ مرتبطا بتاء عوضاعن ياء المتكلم ، قال تعالى :" اذ قال يوسف لابيه يا ابت اني رأيت احد عشر كوكبا ..."(يوسف:٤) ،وفي خطاب اسماعيل لابيه ابراهيم (عليه السلام) قال تعالى :" يا ابت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين "(الصافات:٢)

ويرى عدد من النحويين [٤] ان هذه التاء عوض عن ياء المتكلم ويؤتى بها في بعض المواضع لتدل على المبالغة والتفخيم [٥] كما في (علامة ونسابة) ، والام والاب مظنتا المبالغة والتفخيم .

اما لفظ (الوالد) فهو خاص بالاب الذي ولد له ولد فلايسمى الانسان والدا الا اذا صار له ولد ، وليس هو مثل الاب لانهم يقولون في الكنية : ابو فلان ، وان لم يكن يلد فلانا[٦] .

وقد ورد لفظ (والد) مفردا في موضعين من القران الكريم،احداهما : قوله تعالى :" اتقوا ربكم ،واخشوا يوما لايجزي والد عن

ولده"(لقمان:٣٣) ،واستخدام لفظ (والد) في هذا السياق ادل من لفظ (اب) اذ ان هذه الكلمة تشعر برقة وحنو الوالد وتذكر المخاطب بصعوبة ومشـــقة تربية الولد ومع كل هذا فلايستطيع الوالد ان يدفع عن ولده عذاب اليـــوم الاخر ، اذا كان كافراً ، فجاء لفظ (والد) انسب من نظيره (اب) ومنسقاً مع معنى الاية العام .

والموضع الثاني : قوله تعالى :" لااقسم بهذا البلد وانت حل بـــهذا البلد ووالد وما ولد " (البلد:١-٢) فقد قابلت الايـــة بيـــن الوالـــد والولـــد ،واختلف في تفسير الوالد في هذه الاية فقال بعضهم يراد به محمـــد (ﷺ) وذريته ،وقال البعض الاخر ، المراد به ابراهيم (عليه السلام) وذريته وهنـــاك من حملها على العموم " وهو اقرب الى ان يفهم منه تتابع الاجيال من اهل البلد طبقة بعد طبقة ،وماتوا ثوا من احوال واوضاع والداً عن ولد " .[٧]

من هنا تتضح اهمية استخدام لفظة (والد) دون (اب) لمـــا تعنيـــه الاولى من مفهوم الولادة والتوارث وهذا ما يتناسب مع المعنى المطلـــوب من الاية . وقد وردت صيغة اخرى في القران الكريم لتدل علـــى الوالـــد وهي (المولود له) في قولـــه تعـــالى :" وعلـــى المولـــود لـــه رزقـــهن " (البقرة:٢٣١) والاية تتحدث عما فرضه الله على الاباء من انفاق وكســـوة للامهات المطلقات اللاتي يرضعن اطفالهن ، وذكر هذه الصيغة تنبيهاً على ان " الامهات انما ولدن الاولاد لهم ، فهم منسوبون اليـــهم وليـــس الـــى الامهات "[٨] فذكر هذه الصيغة ادل من الصيغ الاخرى من حيث انها تنبـــه الاباء الى ان الاولاد الذين يرضعون انما هم منسوبون اليهم .

وسبق ان اشرنا الى ان استخدام القران الكريم للفظ (ابوين) فـــي موضعين : احدهما : في موضع الارث والاخرى في الاخبار عن ابـــوي

يوسف (عليه السلام) في حين استخدم القران الكريم لفظ "الوالدين " في مواضع متعددة ولاسيما في سياق الخص على البر بهما ، والاحسان اليهما ، قال تعالى :" وقضى ربك ا لا تعبدوا الا الله وبالوالدين احسانا" (الاسراء:٢٣) كما قرن شكرهم بشكره تعالى فقال في محكم كتابه العزيز :" ان اشكر لي ولوالديك اليّ المصير "(لقمان:١٤) .

ولاشك في ان ذكر لفظ (الوالدين) في هذه السياقات انسب من ذكر الابوين بما يوحيه هذا اللفظ من مشقة الولادة وصعوبة التربية ،وما تعانيه الام في ولادتها وما يعانيه الاب في تربية اولاده ففي اللفظ تذكير الاولاد بهذه الهموم ، مما يشعرهم بضرورة البر بهما .

وقد ورد لفظ (الوالدين) في موضعين من القران الكريم ،وهما في سياق خص الاولاد على الانفاق عليهما ورعايتهما في معيشتهما ، قال تعالى :" يسئلونك ماذا ينفقون ، قل مكا انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تنفقوا من خير فان الله به عليم" (البقرة:٢١٥) فقال (والدين) ولم يقل (ابوين) لتنبيه الاولاد على ما تعنيه ولادتهم وتربيتهم وضرورة الانفاق عليهما ، وقيل ان الاية مبينة " لمصارف صدقة التطوع ، فواجب الرجل الغني ان ينفق على ابويه المحتاجين ما يصلهما من طعام وكسوة " .[٩]

وفي موضع اخر قال تعالى :" ان ترك خيراًالوصية للوالدين "(البقرة:١٨٠) وقيل في نزول هذه الاية " انهم كانوا يوصون للابعدين طلباً للفخر والشرف ويتركون الاقارب فاوجب الله تعالى في اول الاسلام لهؤلاء منعاً لقوم عما كانوا اعتادوه .[١٠]

وقيل في ايجاب هذه الوصية قبل اية المواريث قال (ﷺ): ان الله قد اعطى كل ي حق حقه فلاوصية لوارث .[١١]

فالقران ناسب لفظ (والدين) مع الانفاق والوصية لهما قبل ان يقر تقسيم الارث فلما استقر في الاسلام وقسمت الحقوق ذكر القران التقسيم الذي ارتضاه فقال تعالى :" ولابويه لكل واحد منهما السدس " (النساء:١١).

الامومة:

ام الشئ اصله والام : الوالدة والجمع : امات واصل الام : امهة لذلك تجمع على امهات ، وقال بعضهم الامهات : الناس،والامات للبهائم.[١٢]

وقد وردت لفظة (الام) في القران الكريم لتدل على الوالدة كما وردت لتدل على غير الوالدة ، والتي هي بمنزلة الوالدة في التحريم مثلا او تكون اما في الرضاعة قال تعالى :" والذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن امهاتهم ، ان امهاتهم الا اللائي ولدنهم ..."(المجادلة :٢) .

فاللامهات الحقيقيات هن الوالدات " وغيرهن ملحقات بهن لدخولهن في حكمهن ، فالمرضعات امهات لانهن لما ارضعن دخلن بالرضاع في حكم الامهات وكذلك ازواج الرسول (ﷺ) أمهات المؤمنين لان الله حرم نكاحهن على الامة ، فدخلن بذلك في حكم الامهات "[١٣] وقد ورد لفظ (ام) في القران الكريم في مواضع متعددة لتدل على الوالدة فقد خاطب القران ام موسى فاضافها اليه تشريفا لها كما وردت في الاشارة الى مريم ام عيسى للتنبيه على ان هذه الامومة كانت معجزة له ولها قال تعالى :" وجعلنا ابن مريم وامه اية واويناهما الى ربوة "(المؤمنون:٥٠) .

وقد ذكر الاية بالافارد ، ولم يقل يتيتن لان الله سبحانه وتعالى جعلها اية مشتركة بينهما ،ولاسيما في ولادته فقد (ولد من غير ذكر ،وولدته من دون ذكر ، فاشتركا جميعاً في هذا الامر العجيب الخارق للعادة) .[١٤]

والذي يلفت النظر انه حيثما ذكر عيسى (عليه السلام) في القران الكريم ، نسب الى امه من دون الانبياء ، وذلك تنبيهاً على معجزة ولادته من ام وليس من اب ،ورداً على أي زعم خالف هذه الحقيقة ، فقد اثبت له هذا النسب ليثبت (انه ولد لمريم ، اتصل بها اتصال الاولاد بامهاتها ،وان اتصاله بالله تعالى من حيث انه رسول وانه موجود بامره واتباعه جسداً حياً من غير اب) .[١٥]

فاعتقاد ان عيسى (عليه السلام) لا اب له واجب " فاذا تكرر اسمه منسوباً للام استشعرت القولب ما يجب عليها اعتقاده من نفي الاب عنه ،وتنزيه الام الطاهرة عن مقالة اليهود لعنهما الله[١٦].

وقد ورد لفظ (ام) في القران الكريم ايضا في ايات المواريث والتحريم .[١٧]

اما لفظ (والدة) فقد ورد في اربعة مواضع في القران الكريم الاول : جاء حكاية الله عن عيسى (عليه السلام)

عندما تكلم في المهد صبيا قال تعالى :" وبراً بوالدتي ولم اكن جباراً عصياً "(مريم:٣٢) ففي الاية وردت لفظة (والدتي) ولم يقل (امي) تنبيهاً للملأ انه ولد منها حقيقة ،وهو منسوب اليها حسب ، فقد ورد البر كما أسلفنا --مقترناً بالوالدين ،دون الابوين وهنا خص الوالدة لانه لا والد له ، وانه (شئ من جهة الله سبحانه وتعالى)[١٨] .

وفي الموضع الثاني ورد ذكر والدة عيسى(عليه السلام) ايضا قال تعالى :" اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك" (المائدة:١١٠) فقد ذكر الوالدة دون الام تذكير بمعجزة ولادته من دون اب ، وبيان نعمته عليه اذ حباه ، ونعمة على والدته التي سهل عليها امر الولادة ، وحماها من قومها .

وورد ذكر (الوالدات) في موضع للتنبيه على وجوب ارضاع اطفالهن او عدم الضرر بهم ، قال تعالى :" والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين "(البقرة:٢٣٣) وفي الاية نفسها نبه على عدم الاضرار بالاولاد ووجوب رعايتهم قال تعالى :" لاتضار والدة بولدها ولامولود له بولده " (البقرة:٢٣٣) فورود لفظة (والدة) في هذه الاية الكريمة جاءت منسقة مع المعنى العام في الاية ، ومنسجمة مع سياقاتها فهي في حدود تذكير الامهات بانهن المسؤولات عن اولادهن ولاسيما في صغرهم ، لان امهاتهم كانوا السبب في ولادتهن بعد ان خلقهم الله ، وتذكير لهن بصلة الولادة بين الطفل وامه ، وما يستشعره القلب من رقة وحنو على الاطفال،اما لفظ (ام) فله دلالة عامة تختفي فيه صفة الولادة ،وماتحمله من ظلال.

البنوة :

استخدم القران لفظ (الاولاد) في مواضع كثيرة ، واراد بها عموم الاولاد ، ذكوراً واناثاً ،وقد اقترنت الاولاد بالاموال في مواضع كثيرة من القران الكريم ، وقد وردت في مواضع مقدمة على الاموال ، وفي مواضع اخرى جاءت مؤخرة عنها ، وكل بحسب سياقه ووفق المعنى المقصود الذي وردت فيه .

فمن تقديم الاموال قوله تعالى :" وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى " (سبأ:٣٧) وقال :" واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة " (الانفال:٢٨) وقال تعالى :" ولا تلهكم اموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله" (المنافقون:٩) .

ففي هذه الايات تحذير من الاستغال بالاموال والاولاد فيفوت الانسان حظه من الله والدار الاخرة (ومعلوم ان اشتغال الناس باموالهم والتلاهي بها اعظم من اشتغالهم باولادهم فالرجل يستغرقه اشتغاله بماله عن مصلحة ولده)[١٩].

وقد وردت الاموال المقدمة على الاولاد في سياق ذكر الامتنان والانعام على الانسان (فحيث ذكر الامتنان والانعام والاستعانة قدمت الاموال على الاولاد)[٢٠] قال تعالى :" وامددناكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات "(نوح:١٢) وقد خص البنين في مواضع المن لانهم احب الى ابائهم واكثر فائدة لهم .

على ان القران يذكر الانسان بان لايغتر بهذه النعمة وعليه ان لاتشغله عن ذكر الله وطاعته ، فينبه في مواضع على خطرها وفتنتها قال تعالى :" ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات ..."(المؤمنون:٥٥) وقال تعالى :" يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه ..."(المعارج:١١) .

فعلى الرغم من حب الاباء ابناءهم فيودون لو يفتدوهم من عذاب يوم عظيم ، ونجد ان القران قد خص البنين دون الاناث في مواضع التحذير والتنبيه على فتنتهم وذلك لشدة تعلق الاباء بهم من دون الاناث ،قال تعالى :" المال والبنون زينة الحياة الدنيا ،والباقيات الصالحات خير

عند ربك ثواب وخير املا "(الكهف:٤٦) وقال :" يوم لاينفع مال ولا بنون ..."(الشعراء:٨١) .

وقد قدموا على الاموال في مواضع كثيرة من القران الكريم من ذلك قوله تعالى :" قل ان كان اباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله ، فتربصوا حتى يأتي الله بأمره، والله لايهدي القوم الفاسقين "(التوبة:٢٤) .

فقد تقدم ذكر البنين على ذكر الاموال اذاان الاية جاءت في سياق الدعوة الى الجهاد في سبيله وتقريع الذين تشغلهم هذه العناصر عن هذه الدعوة (ومعلوم ان تصور المحاهد فراق اهله واولاده وابائه واخوته وعشيرته تمنعه من الخروج عنهم اكثر مما يمنعه مفارقته ماله)[٢١].

وقدم البنون على الاموال في قوله تعالى :" زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب"(ال عمران:١٤) .

فالاية بينت ما زين للناس من شهوات ، وخصت الشهوة هنا (لانها صفة مسترذلة عند الحكماء مذمومة)[٢٢].

وكيف، اذا اثروها على ما عند الله ؟

وقد تقدم ذكر النساء لان النفس اكثر تعلقا بهن واقوى شهوة ثم ذكر البنين لحب الانسان لهم ، وخص البنين لانهم اقرب واحب ثم تلي هذه الشهوة شهوة الانسان للمال فحب الانسان لبنيه اكثر من حبه للمال .

ويعرض القران الكريم مشهدا من مشاهد اليوم الاخر ، حيث يفر المرء من اقربائه من رهبة هذا اليوم وشدته لينجو بنفسه من فزع هذا

اليوم،قال تعالى :" يوم يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه " (عيسى :٣٤-٣٦) فقد رتبت الاية الاقرباء بحسب شدة تعلق الانسان بهم فكانه قال :" يفر من اخيه بل من ابويه بل من صاحبه وبنيه ، فبدأ بالاخ ثم بالابوين لانهما اقرب منه ثم بالصاحبة والبنين لانهم اقرب واحب .[٢٣]

لقد قدمت هذه الايات الكريمة صورة صادقة معبرة عن الواقع الانساني وفق ترتيب تصاعدي يعبر عن صلة المرء باهله ساعة الفزع،فالمرء يحاول ان ينقذ كل اهله اولا ثم يبدأ بالتفلت منهم واحدا واحدا، كلما اشتد به الفزع واحاط به الخطر ، واهون هؤلاء عليه اخوه،بعد ذلك امه وابوه ، ثم زوجه ثم في النهاية يلقي بفلذة كبده بابنه وابنته يلقيهما بعيدا لينجو بنفسه .

ان هذا الترتيب صعودا في محبة المرء لاهله ،اوهبوطا في تخلي الامر عنهم ساعة الرعب لايصنعه الا القران ،ولايعلم الا الله سبحانه وتعالى خالق الانسان .

والقران ينتقي الالفاظ بدقة فينتخب اللفظة من دون نظيرتها لانها انسب للمعنى ، واليق بالسياق ، فقد وردت لفظة (مولود) في قوله تعالى :" يا ايها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لايجزي والد عن والده ولا مولود وهو جاز عن والده شيئا "(لقمان:٣٣) .

فاستخدام (مولود) دون الولد او الابن (لقصد التنبيه على ان تلك الصلة الرقيقة لاتخول صاحبها التعرض لنفع ابيه المشرك في الاخرة ، وفاء له بما تومئ اليه المولودية من تجشم المشقة في تربيته ، فلعله يتجشم الالحاح في الجزاء عنه في الاخرة حسما لطمعه في الجزاء عنه)[٢٤] .

وفي الاية ملحظ اخر وهو انه قابل الجملة الفعلية والخاصة بالاباء هي (يجزي) بالجملة الاسمية (وهو جاز) والتي هي خاصة بالمولود لان

الجملة الاسمية اكد من الفعلية (وذلك لان الخطاب للمؤمنين وعليتهم قبض اباؤهم على الكفر وعلى الدين الجاهلي فاريد حسم اطماعهم واطماع الناس فيهم ان ينفعوا اباءهم في الاخرة وان يشفعوا لهم وان يغنوا عنهم من الله شيئا) .[٢٥]

وقد وردت لفظة (البنات) في مواضع من القران الكريم ولاسيما ايات التحريم والارث قال تعالى :" حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم ..."(النساء :٢٣).[٢٦]

كما وردت في سياق تقريع الشمركين الذين نسبوا الى الله البنات ونسبوا الى انفسهم البنين فتعالى الله عما يشركون علوا كبيرا قال تعالى :" فاستفتهم الربك البنات ولهم البنون"(الصافات:٤٩) وهو سؤال توبيخ فقد زعموا ان الملائكة بنات الله ، ثم قال بعد ذلك استنكارا عليهم وتبكيتا لهم :" مالكم كيف تحكمون " (الصافات:٥٤) .

الزوجية:

يطلق لفظ (الزوج) على الرجل وعلى حليلته ،والزوج افصح من زوجة ، والثابت ان كلمة زوج في كلام العرب ، المفرد المزواج لصاحبه فيقال لرجل زوج ، وللانثى زوج ، فاما الاثنان المصطحبان فيقال لهما زوجان .[٢٧]

قال تعالى :" وانه خلق الزوجين الذكر والانثى، من نطفة اذا تمنى"(النجم :٤٥-٤٦) وقد وقع في القران الكريم الاخبار عن اهل الايمان بلفظ الزوج مفردا او جميعا كقوله تعالى :" اسكن انت وزوجك الجنة" (الاحزاب:٣٧) .

(البقرة :٣٥) وقوله :" امسك عليك زوجك "(الاحزاب :٣٧) واخبر القران عن اهل الشرك بلفظ (المرأة) دون لفظ الزوج كقوله تعالى :" وامرأته حمالة الحطب "(المسد:٤) وقوله في امرأة نوح ولوط :" وضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط "(التحريم:١٠) كانتا مشركتين اوقع عليهما اسم المرأة وقال في امرأة فرعون :" وضرب الله مثلا امرأة فرعون " (التحريم :١١) فلما كان فرعون مشركا وامرأته مؤمنة لم يسمها زوجا وقد علل عدد من القدماء خصوص هذا الاستخدام في القران الكريم فقد حكى ابن القيم [٢٨] من السهيلي ، فان الله لم يقل في حقهم ازواجا لانهن لسن بأزواج لهن في الاخرة ، اذن التزويج حلية شرعية ، اما ذكر (المرأة) في مواضع الايمان كما في قوله تعالى :" وكانت امرأتي عاقرا" (مريم:٥) وفي قوله :" فاقبلت امرأته في صرة"(الذاريات:٢٩) فرأى السهيلي انما جئ بلفظ المرأة لانها في سياق ذكر الحمل والولادة ، فذكر المرأة اولى لانه صفة الانوثة وهي مقتضية للحمل والموضع .

على ان ابي القيم لم يرتض هذا التعليل واستبعده ورأى ان السر في ذكر المؤمنين ونسائهم بلفظ الازاوج لان هذا اللفظ مشعر بالمشاكلة والمجانسة والاقتران فان الزوجين هما الشيئان المتشابهان المتشاكلان والمتساويان ، ومنه قوله تعالى :" احشروا الذين ظلموا وازواجهم "(الصافات:٢٢) ولاريب ان الله سبحانه وتعالى قطع المشابهة والمشاكلة بين الكفار والمؤمنين .

وهو تعليل وجيه اخذ به عدد من المحدثين [٢٩] وبسطت الدكتورة عائشة[٣٠] بنت الشاطئ القول في هاتين الفظتين منطلق من توجيه ابن القيم فذكرت ان كلمة الزوج تأتي حيث تكون الزوجية هي مناط الموقف

حكمة او اية ، او تشريعا وحكما قال تعالى :" ومن اياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون "(الروم:٢١) فاذا تعطلت ايتها في السكن والمودة والرحمة بخيانة او تباين في العقيدة فامرأة لازوج ، قال تعالى :" انا منجوك واهلك الا امرأتك كانت من الغابرين "(العنكبوت:٣٣) واذا سقطت حكمة الزوجية في البشر بعقم او ترمل فامرأة لا زوج كالايات في امرأة ابراهيم وامرأة عمران قال تعالى :" وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا"(مريم:٥) فلما استجاب له ربه وحققت الزوجية حكمها ، كانت الاية :" فاستجبنا له ووهبنا له يحيى واصلحنا له زوجه "(الانبياء:٩) فاستخدم لفظ زوج لا امرأة اذا انتهى العقم وتم الانجاب وتحقق الحكمة من الزوجية .

لابد من الاشارة هنا الى لفظ اخر ورد في القران وهو لفظ (بعل) ليدل على الزوج ومعنى (البعل) في كلام العرب [٣١] الزوج والسيد والمباعلة والبعال والجماع ومنه قول الرسول (ﷺ) للايام التشريق انها ايام اكل وشرب ويقال ، وبعل الشئ "ربه ومأكله"[٣٢] .

ويرى ابن هلال العسكري[٣٣] ان الفرق بين البعل والزوج هو ان الرجل لايكون بعلا للمرأة حتى يدخل بها وذلك ان البعال النكاح والمداعبة استدل بحيث الرسول (ﷺ) السالف .

يبدو ان هذا التفرق مجانب للصواب فالزوج يطلق على الداخل بامرأته وهذ واضح في السياق القراني قال تعالى :" فلا تعضلوهن ان ينكحن ازواجهن اذا تراضو بينهم بالمعروف "(البقرة:٢٣٢) .

وقد ورد لفظ بعل في اربعة مواضع في القران الكريم ويرى احد المفسرين [٣٤]المعاصرين ان اصل كلمة بعل سامية قديمة استعملها

الفينيقيون وسموا معبودهم بعلا قال تعالى :" اتدعون بعلا وتذرون احسن الخالقين "(الصافات:١٢٥) ثم سمي الزوج بعلا لانه ملك امر عصمة زوجه وكان مالكا للمرأة سيدا لها . ثم لما ارتقى نظام العائلة من عهد ابراهيم ثم بعده من الشرائع اخذ معنى الملك في الزوجة يضعف فاطلق العرب على لفظ الزوج على كل من الرجل والمرأة واشار الى ان المواضع التي عبر بها القران بهذا الاسم هي المواضع التي يحكى فيها اخوال الامم الماضية قال تعالى :" وهذا بعلي شيخا "(هود: ٧٢)

او في المواضع التي اشار فيها الى التفكير بما للزوج من سيادة اكثر نحو قوله تعالى :" وان امرأة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا"(النساء:١٢٨) وفي قوله تعالى :" وبعولتهن احق بردهن " (البقرة:٢٨) فلما جعل حق الرجعة للرجل جبراعلى المرأة ذكرها بأنه بعلها قديما أي سيدها .

وقد ورد ذكر البعل في قوله تعالى :" ولايبدين زينتهن الا لبعولتهن او ابائهن واباء بعولتهن "(النور:٣١) فقد قدم البعل هنا بيان حقوقه بوصفه زوجا وسيدا فهو يرى الزينة في المرأة مالايراه غيره وفي لفظ البعل تذكير بسيادته فضلا عما يحتمله اللفظ من دلالة المباعلة أي حق المداعبة والنكاح.

الفاظ اخرى:

١. الاخوة:

وردت لفظ الاخ في القران الكريم المراد به الشقيق وذلك في ايات المواريث وذلك في ايات اخرى من ذلك قوله تعالى :" وله اخ واخت فلكل واحد منهما السدس "(النساء :١٢) وفي غير ايات المواريث ماجاء في

قصة يوسف (عليه السلام) قال تعالى :" ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني باخ لكم من ابيكم "(يوسف:٥٩) وتتوسع دلالة اخ في القران الكريم لتشمل معنى اشمل واوسع فيستعار في كل مشارك لغيره في القبيلة وفي الدين او في صنعة او في معاملة او في مودة وفي غير ذلك من المناسبات [٣٥] وقد وردت في القران الكريم بهذه المعاني قال تعالى :" ولاتكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم "(ال عمران :١١٦) أي لمشاركيهم في الكفر وقال تعالى :" انما المؤمنون اخوة " (الحجرات:٤٩) وهي اخوة تقوم على اسا الايمان والتقوى لاعلى المنفعة المادية ويصف القران الكريم الانبياء بانهم اخوان لاقوامهم وللذين يدعونهم الى الحق والهداية وهو تنبيه من القران على ما ينبغي ان يكون عليه الداعي او ولي الامر من الاخوة ازاء المدعوين فتكون العلاقة قائمة على المساواة لا الاستبداد قال تعالى :" وآل ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدو الله "(الاعراف:٧٣) وقال تعالى :" والى عاد اخاهم هودا قال يا قوم اعبدوا الله "(الاعراف:١٩) "فوصفهم بالاخوة تنبها على اشفاقهم عليهم شفقة الاخ على اخيه" [٣٦] .

ب .الحفيد :

وهو في اللغة بمعنى المتحرك المتبرع بالخدمة[٣٧] وقد ورد ذكره في القران الكريم في موضع واحد بصيغة الجمع هو قال تعالى :" وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة" (النحل:٧٢) واختلف المفسرون [٣٨]في تفسير حفدة على اقوال بعضهم فمنهم من قال هم الاعوان ومنهم من قال هم الخدم وقالوا الاختان او الاصهار وقالوا "ولد الولد" وحملها الرازي [٣٩] على العموم والاولى حملها على ولد الولد وهذا المعنى يرشحه سياق الاية ونظمها فقد ذكر من ازواجكم وقرنها بالبنين والحفيد اقرب الى الانسان بعد

الابناء وهم ايضا اعوان وخدم خدمتهم لاجدادهم وقد رجح هـذا المعنى القرطبي وعزاه الى الازهري وابن العربي فقال اولاد الاولاد وهو ظاهر القران بل نصه ، الاتراه قال :" وجعل لكم من ازواجكم ،فجعل البنين والحفدة منهن ".(٤٠)

ج. الاسباط :

اصل السبط انبساط في سهولة يقال شعر سبط او سبط والسبط ولد الولد كانه امتداد الفروع(٤١) وقد ورد هذا الفظ في القران في خمسة مواضع لتدل على هذا المعنى من ذلك قوله تعالى :" وما انزل الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط "(البقرة:٣٦) واراد بهم ولد(٤٢) يعقوب وهم اثنا عشر ولدا .

هـ. الصهر :

هو الختن واهل بيت المرء ، يقال لهم الاصهار(٤٣) وقد ورد ذكر هذا اللفظ في موضع واحد في القران الكريم قال تعالى :" هو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا ،وكان ربك قديرا"(الفرقان :٥٤) .

وذكر الطبرسي(٤٤) ان النسب والصهر معنيان يعنيان كل قربى بين ادميين ، اورد قول الاصمعي في اصل اللفظ وهو ان الصهر من صهرت الشئ اذا خلطته ، فكل واحد من الصهرين قد خالط صاحبه ، فسميت المناكح صهرا لاختلاط الناس بها، وقيل : الصهر قرابة النكاح فقرابة الزوجة هم الاختان، وقرابة الزوج هم والاحماء ،الاصهار تقع عاما لذلك كله .

وفي الاية اشارة الى نعمة الله ان جعلهم انسابا واصهارا مجتمعين متعاونين ومتحابين .

وفي نهاية المطاف نخلص الى القول بأن القران الكريم ينتخب الفاظه ويختارها مراعيا الفروق الدلالية الدقيقة بينهما ، من ذلك الفاظ القرابة ،اذ وردت كل لفظة في سياقها مؤدية معناها بدقة واحكام ،ما لاتؤديه اختها في هذا السياق .

المصادر:

١-الاعجاز البياني للقران ، ومسائل نافع بن الازرق ،د. عائشة بنت الشاطئ ،دار المعارف مصر ١٩٧١.

٢-البحر المحيط ، ابو حيان الاندلسي ، نشر مكتبة ومطابع الحديثة الرياض .

٣-بدائع الفوائد ، ابن القيم ،دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت .

٤-التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للنشر .

٥-التفسير البياني للقران الكريم ،د.عائشة بنت الشاطئ ،ط٢ دار المعارف ،مصر ١٩٦٦.

٦-التفسير القيم ، ابن القيم ، جمعة الندوي ، تحقيق :الفقي ، القاهرة ١٣٦٨هـ.

٧-التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) ، فخر الدين الرازي ،ط٢ صورته،دار الكتب العلمية ،طهران .

٨-الجامع لاحكام القران ، ابو عبد الله محمد بن احمد القرطبي ،ط٣ ،صورة الطبعة دار الكتب المصرية ١٩٦٧.

٩-شرح الكافية في النحو ، رضي الدين الاستربادي ، دار الكتب العلمية بيروت ، ١٤٠٥-١٩٨٥م.

١٠- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربيـــة) ، اسـماعيل بـــن حمـــاد الجوهري ،تح. احمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بـيروت ١٩٨٧.
١١- صفاء الكلمة ،د. عبد الفتاح لاشين ،،دار المريخ الرياض ١٩٨٣.
١٢- الفروق في اللغة ، ابو هلال العسكري ،ط٣ ،دار الافاق الجديـــدة بيروت ١٩٧٩.
١٣- كتاب سيبويه ، ابو بشر ، عمر بن عثمان بن قنـــبر ،تـــح. عبـــد السلام هارون ، عالم الكتب ، بيروت .
١٤- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التـــأويل ، جار الله الزمخشري ،دار الفكر بيروت ١٩٧١م.
١٥- لسان العرب/ جمال الدين بن مكرم في المنظور ، نسخة مصـــورة عن مطبعة بولاق ، دار المصرية ، القاهرة .
١٦- المفردات في غريب القران ، الراغب ، الاصفهاني تح. محمد سيد كيلاني ، دار المعرفة ، بيروت .

الهوامش:

١. لسان العرب ، ابن منظور ٦/١٨ (ابن).
٢. وينظر سورة يوسف اية ١٩.
٣. فقه اللغة ، الثعالبي ،ص٢٤٤.
٤. الكتب ، سيبويه ٢١١/٢، المقتضب ٢٦٢/٤.
٥. شرح الكافية ، الرضي الاستربادي ١٤٨/١،وينظر اساليب الطالب عند النحويين والبلاغيين ص٢٥٣.
٦. الفروق في اللغة : ابو هلال العسكري ص ٢٧٦.

٧. التفسير البياني للقران الكريم ، عائشة بنت الشاطئ ١٦٦/١.

٨. الكشاف ، الزمخشري ٣٧٠/١.

٩. الجامع لاحكام القران :القرطبي ٣٧/٣.

١٠. التفسير الكبير ، الرازي ٦٠/٥.

١١. سنن النسائي ،٢٤٧/٢ دار الحديث القاهرة .

١٢. الصحاح، الجوهري /١٨٦٣.

١٣. الكشاف ٧٠/٤.

١٤. التفسير الكبير ١٠٢/٢٣.

١٥. الكشاف ٥٨٥/١.

١٦. تفسير القرطبي ٢٢/٦.

١٧. ينظر مثلا سورة النساء اية ١١و ٢٣.

١٨. تفسير القرطبي ١٠٣/١١.

١٩. بدائع الفوائد ، ابن القيم ٧٥/١.

٢٠. البحر المحيط ، ابو حيان ٣٩٦/٢.

٢١. بدائع الفوائد،٧٦/١.

٢٢. التفسير الكبير ١٩٥/٧.

٢٣. البحر المحيط ٣٩٦/٢.

٢٤. التحرير والتنوير ،محمد الطاهر بن عاشور ١٩٤/٢١.

٢٥. لكشاف ٢٣٨/٣.

٢٦. ينظر : سورة الاحزاب الاية ٥٠و ٥٩ .

٢٧. لسان العرب :١٨٦/٣ (زوج) .

٢٨. جلاء الافهام ، ١٥-١٥٤ ، التفسير القيم ١٣٢-١٣٣، وينظر :صفاء الكلي د. عبد الفتاح لاشين ١٠٦-١٠٧.

٢٩. د. عائشة بنت الشاطئ، الاعجاز البياني في القران ، ٢١٣ ،
د. عبد الفتاح لاشين، صفاء الكلمة ص١٠٧.
٣٠. الاعجاز البياني في القران ، ٢١٤-٢١٦.
٣١. لسان العرب ،٦٢٨/٣.
٣٢. تفسير القرطبي ١١٩/٣.
٣٣. الفروق في اللغة ص٢٧٧.
٣٤. الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ٣٩٣/٢.
٣٥. المفردات في غريب القران ، الراغب الاصفهاني ص١٣.
٣٦. نفسه ص١٣.
٣٧. نفسه ص١٢٣.
٣٨. ينظر :مفردات الراغب ص١٢٣، وتفسير الرازي ٨١/٢، وتفسير القرطبي ١٤٣/١٠-١٤٤.
٣٩. تفسير الرازي ٨١/٢.
٤٠. تفسير القرطبي ١٤٤/١٠.
٤١. مفردات الراغب ص٢٢٢.
٤٢. تفسير القرطبي ١٤١/٢.
٤٣. مفردات الراغب ٢٨٧.
٤٤. الجامع لاحكام القران ٦٠/١٣.